

التَّعْلِيمُ فِي جَنَّةِ عَدْنِ



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: تكوين ٢: ٧-٢٣؛ تكوين ٣: ١-٦؛ بطرس ١: ٣-١١؛ ٢ بطرس ١: ٢-١٧، ٧، ١٣؛ عبرانيين ١٣: ٧، ١٧، ٢٤.

آية الحفظ: «هُوَذَا اللهُ يَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ. مَنْ مِثْلُهُ مُعَلِّمًا؟» (أيوب ٣٦: ٢٢).

يَعْرِفُ مَعْظَمُ طُلَّابِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ قِصَّةَ سَفَرِ التَّكْوِينِ، فِي الْأَصْحَاحَاتِ ١-٣، وَالشَّخْصِيَّاتِ الْوَارِدَةِ فِيهَا: اللهُ، آدَمُ، حَوَاءُ، الْمَلَائِكَةُ، وَالْحَيَّةُ. وَالْخَلْفِيَّةُ هِيَ جَنَّةُ رَائِعَةٍ فِي فَرْدُوسٍ تَدْعَى «عَدْنُ». وَيَبْدُو أَنَّ بَنِيَّةَ الْقِصَّةِ تَتَّبَعُ سُلْسَلَةَ مَنْطِقِيَّةٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ: يَقُومُ اللهُ بِعَمَلِيَّةِ الْخَلْقِ. يُعْطِي اللهُ تَعْلِيمَاتِهِ لِآدَمَ وَحَوَاءَ. يَقَعُ آدَمُ وَحَوَاءُ فِي الْخَطِيئَةِ. يُطْرَدُ آدَمُ وَحَوَاءُ مِنْ عَدْنِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ نَظْرَةَ فَاحِصَةِ إِلَيِ الْأَصْحَاحَاتِ الْقَلِيلَةِ الْأُولَى مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ، خَاصَّةً مِنْ خِلَالِ عَدْسَةِ التَّرْبِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِ، سَوْفَ تَسَلِّطُ مَزِيدًا مِنَ الضَّوئِ عَلَى الشَّخْصِيَّاتِ وَالْخَلْفِيَّةِ وَالْقِصَّةِ.

«إِنَّ نِظَامَ التَّرْبِيَّةِ الَّذِي وُضِعَ فِي بَدَايَةِ الْعَالَمِ قَدْ وُضِعَ لِيَكُونَ نَمُودَجًا لِلْإِنْسَانِ مَدَى الْأَزْمَنَةِ الْمُتَعَاقِبَةِ بَعْدَ ذَلِكَ. وَكَمِثَالٍ لِمَبَادئِهِ مَدْرَسَةُ نَمُودَجِيَّةٍ فِي عَدْنِ، الْبَيْتَ الَّذِي عَاشَ فِيهِ أَبَوَانَا الْأَوْلَانِ، فَكَانَتْ جَنَّةً عَدْنِ هِيَ الْفَصْلُ الْمَدْرَسِيَّ وَكَانَتْ الطَّبِيعَةُ هِيَ كِتَابُ الدَّرْسِ، وَكَانَ الْخَالِقُ نَفْسَهُ هُوَ الْمُعَلِّمُ، وَكَانَ أَبَوَا الْأَسْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ هُمَا الطَّلَبَانِ» (التَّرْبِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ، صَفْحَةُ ٢٢).

كَانَ الرَّبُّ هُوَ مُؤَسِّسُ وَمُدِيرُ وَمُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْأُولَى. لَكِنْ وَكَمَا نَعْلَمُ، اخْتَارَ آدَمُ وَحَوَاءُ فِي النِّهَايَةِ مُعَلِّمًا آخَرَ وَتَعَلَّمَا الدَّرُوسَ الْمَغْلُوطَةَ. مَاذَا حَدَثَ؟ وَلِمَاذَا؟ وَمَا الَّذِي يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَعَلَّمَهُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْغَابِرَةِ عَنِ التَّرْبِيَّةِ وَيُمْكِنُ أَنْ يُسَاعِدَنَا الْيَوْمَ؟

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٣ تشرين الأول (أكتوبر).

المدرسة الأولى

عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أُنْتَا لَا نَتَّصَوَّرُ فِكْرَةَ أَنْ بُسْتَانًا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ صَفًا دِرَاسِيًّا، إِلَّا أَنَّ الأَمْرَ يَبْدُو مَنْطِقِيًّا تَمَامًا، لَا سِيْمَا فِي بَسْتَانٍ مِثْلَ جَنَّةِ عَدْنِ، حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ الْجَنَّةُ مَلِيئَةً بِخَيْرَاتِ خَلِيقَةِ اللَّهِ الَّتِي لَمْ تَكُنِ الخَطِيئَةُ قَدْ دَنَسَتْهَا بَعْدَ. مِنَ الصَّعْبِ أَنْ نَتَخَيَّلَ، مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِنَا الْيَوْمِ، مَدَى مَا كَانَتْ هَذِهِ الكَائِنَاتُ غَيْرِ السَّاقِطَةِ تَتَعَلَّمُهُ فِي ذَلِكَ «الصَّفِّ» عَلَى يَدِ خَالِقِهَا مَبَاشِرَةً، فِي عَالَمٍ غَيْرِ سَاقِطٍ.

اقرأ تكوين ٢: ٧-٢٣. ما الذي تلاحظه عن هدف الله من خلق آدم ووضعه في الجنة وإسناد المهام إليه؟

خلق الله الرجل والمرأة على صورته وأعطاهما بيتًا وعملاً هادفًا. وعندما نُفكِّرُ فِي النِّشَاطِ التَّفَاعُلِيِّ بَيْنَ المُعَلِّمِ وَالتَّالِبِ، فَسَنَجِدُ أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ عِلَاقَةً مِثَالِيَّةً. فَقَدْ كَانَ اللَّهُ يَعْرِفُ قُدْرَاتِ آدَمَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ آدَمَ. كَانَ بَوَسِعِ اللَّهِ تَعْلِيمَ آدَمَ لِعَلْمِهِ أَنَّ بِإِمْكَانِ آدَمَ بُلُوغَ قُدْرَاتِهِ الْكَامِلَةِ. أَعْطَى اللَّهُ الْإِنْسَانَ مَسْئُولِيَّةً، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ لَهُ السَّعَادَةَ كَذَلِكَ. وَرَبْمَا كَانَ تَكْلِيفُ الْإِنْسَانِ بِمَسْئُولِيَّاتٍ جِزْءًا مِنْ وَسَائِلِ مَنْحِهِ السَّعَادَةَ. فَعَلَى كُلِّ حَالٍ، مَنْ لَا يَشْعُرُ بِالرِّضَا، بَلِ وَالسَّعَادَةَ، مِنْ تَقْلِيدِ الْمَسْئُولِيَّاتِ، وَمِنْ ثَمَّ الْوَفَاءِ بِهَا بِإِخْلَاصٍ. عَرَفَ اللَّهُ قَلْبَ آدَمَ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِيَزْدَهَرَ، لِذَلِكَ أَعْطَى اللَّهُ آدَمَ مَهْمَةً الْإِعْتِنَاءِ بِالْجَنَّةِ. «وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا» (تكوين ٢: ١٥). مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ، وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ سِوَى عَالَمِ الخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ، مَا الَّذِي كَانَ يَسْتَلْزِمُهُ الْعَمَلُ وَالدَّرُوسُ الَّتِي، بِلَا شَكٍّ، تَعَلَّمَهَا آدَمُ وَحَوَاءُ وَهَمَا يَعْمَلَانِ وَيَعْتِنِيَانِ بِنَيْتِهِمَا، الْجَنَّةِ.

فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ ٢: ١٩-٢٣، خَلَقَ اللَّهُ لِآدَمَ رَفَقَاءَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَخَلَقَ كَذَلِكَ حَوَاءَ زَوْجَةً لِآدَمَ. عَرَفَ اللَّهُ أَنَّ آدَمَ كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى رَفَقَةٍ مَعِينٍ نَظِيرِهِ، لِذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ الْمَرْأَةَ. عَرَفَ اللَّهُ أَيْضًا أَنَّ الْإِنْسَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلَاقَةٍ وَثِيقَةٍ مَعَهُ، لِذَلِكَ أَوْجَدَ مَنْطِقَةً قُدْسِيَّةً وَدِيَّةً فِي عَدْنٍ دَاخِلِ حُدُودِ الْجَنَّةِ. كُلُّ هَذَا يَشْهَدُ لِقَصْدِ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ وَمَحَبَّتِهِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ. وَمَرَّةٌ أُخْرَى نَقُولُ إِنَّ بُعْدَ الْمَسَافَةِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ جَنَّةِ عَدْنٍ يَجْعَلُ مِنَ الصَّعْبِ تَصَوُّرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْحَالُ - رَغْمَ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَمَتِّعِ مَحَاوَلَةِ تَخَيُّلِ هَذَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

رغم أننا بعيدون عن عدن، إلا إنه لا يزال بإمكاننا تعلّم دروس من الطبيعة. ما هي بعض هذه الدروس، وكيف يمكن أن نستفيد منها ونحن نُفسرُها من خلال عدسة الكتاب المقدّس؟

التَّسَلُّل

من بين أعظم دواعي سرور العديد من المعلمين هي عملية إعداد وتهيئة الصفوف

المدرسية: تعليق لوحات الإعلان، وتنسيق المستلزمات، وترتيب الصفوف بأفضل طريقة ممكنة.

عندما نتأمل في تصوّر الله للصف المدرسي الذي كان في جنة عدن، نجد الحرص الذي أبداه في

إعداد بيئة تعليمية لآدم وحواء. أراد أن يحيط الجمال بهما. يمكننا أن نتصور أن كل زهرة وطائر

وحيوان وشجرة أتاحت الفرصة لآدم وحواء لتعلّم المزيد عن عالمهما وعن خالقهما.

ومع ذلك، هناك تحوّل مفاجئ عند الانتقال من سفر التكوين ٢ إلى سفر التكوين

٣. ففي الأصحاح الثاني نجد قائمة بكل الخيرات التي خلقها الله وفق مشيئته. ولكن

في سفر التكوين ٣: ١ تسترعينا حُرِّيَّة الإرادة التي منحها الله للإنسان. أمّا وجود الحَيَّة

التي «كَانَتْ ... أَحْيَلَّ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ» فكان خروجًا عن اللغّة المُستخدمة حتى

الآن. فإنّ كلماتٍ مثل «حَسَنٌ جِدًّا» و «لَا يَخْجَلَانِ» و «بِهَيْج» هي سمات تستخدم

في الأصحاحات السابقة لوصف خليقة الله. أما الآن، ومع وجود الحَيَّة، فهناك تغيّر

في اللغة. فهناك كلمة «أَحْيَلَّ» التي تُترجم «أَمَكْر» في بعض الإصدارات. فجأة يظهر

عنصر سلبي فيما كان، حتى تلك اللحظة، كَمَالًا مُطْلَقًا.

في المقابل، يُقدّم سفر التكوين الله باعتباره العكس من «المآكر». فالله واضح بشكل

قاطع فيما يتعلق بتوقعاته من الزوجين في الجنة. نعرف من وصية الله في تكوين ٢: ١٦،

١٧ أنه وضع قانونًا أساسيًا كان عليهما إطاعته، وهو أن لا يأكلا من الشجرة المحرّمة.

بغض النظر عن أي شيء آخر يمكننا استخلاصه من هذه القصة، يبرز شيء واحد أساسي:

خُلِقَ آدَمُ وحواء ككائنات أخلاقية حرة، كائنات كانت قادرة على الاختيار بين الطاعة والعصيان.

من هنا، ومن البداية، حتى في عالم غير ساقط، يمكننا أن نرى حقيقة الإرادة الحرة للإنسان.

في سفر التكوين ٣: ١-٦، تفحص الأوصاف التي استخدمتها الحَيَّة والتي كررتها

حواء بعد ذلك. ماذا تلاحظ عن المعلومات التي قدّمتها الحَيَّة لحواء؟ ماذا

لاحظت حول الكيفية التي نظرت بعدها حواء إلى شجرة معرفة الخير والشر؟

في تكوين ٢: ١٧، أخبر الله آدم إنّه إذا أكل من الشجرة فإنّ آدم «مَوْتًا يَمُوتُ». وعندما كرّرت

حواء، في تكوين ٣: ٣، ما أمرها الله به، فإنّها لم تُعبّر عن ذلك بقوة، ولم تذكر كلمة التأكيد

«مَوْتًا». في سفر التكوين ٣: ٤، تُعيد الحَيَّة تكرار الكلام مرة أخرى، ولكن في تناقض تام لما قاله

الله. يبدو أنه على الرغم من أنّ حواء كانت قد تعلّمت على يد الله في الجنة، إلا أنها لم تأخذ

ما تعلّمته بجديّة كما كان ينبغي، هذا ما نراه من اللغة التي استخدمتها.

العجز عن فهم الرسالة

كما رأينا بدرس الأمس، على الرغم من الأمر الواضح الذي أعطاه الله لحواء، إلا أنها أبدت استخفافاً - حتى في لغتها - بما كانت قد تعلّمته. على الرغم من أنها لم تسيء تفسير ما قاله الرب، من الواضح أنها لم تأخذ الأمر على محمل الجد. وجمعينا يعرف العواقب الوخيمة لأفعالها.

وهكذا، عندما صادفت حواء الحَيَّة، فإنها قد كرّرت (ولكن ليس بالضبط) للحَيَّة ما قاله الله فيما يتعلق بأشجار الجنة (تكوين ٣: ٢، ٣). بالطبع، لم تكن هذه الرسالة أخباراً جديدة بالنسبة للحَيَّة. كانت الحَيَّة على دراية بالأمر، وبالتالي كانت مستعدة جيداً لتحريف الرسالة، ومن ثم تحايلت على براءة حواء.

تمعن في قراءة تكوين ٣: ٤-٦. بالإضافة إلى النفي المباشر لما قاله الله تحديداً، ما هو أيضاً الشيء الذي قالته الحَيَّة واتضح أنه نجح في استقطاب حواء؟ ما هي المبادئ التي استفادت منها الحَيَّة واغتنمتها؟

عندما أخبرت الحَيَّة حواء أن جزءاً من الرسالة كان غير صحيح، كان بإمكان حواء أن تتشاور مع الله بشأن هذه المسألة. وهذا هو جمال التعلّم في عدن: كان وصول الطلاب إلى معلمهم الأعظم أمراً متاحاً بشكل لا يمكننا تصوّره الآن على الأرض. ومع ذلك، بدلاً من السعي طلباً في المساندة الإلهية، تقبّلت حواء رسالة الحَيَّة. كان قبولها للرسالة المحرّفة من قبل الحَيَّة يتطلب بعض الشكوك من جانب حواء حول الله وما قاله لهما. وفي الوقت ذاته، يقع آدم نفسه في موقف صعب. «أدرك آدم أن شريكته قد تعدت أمر الله، واستخفت بالنهي الوحيد الذي قدم لهما كامتحان لولائهما ومحبتهما، ونشب في ذهنه صراع رهيب، وحزن أشد الحزن لكونه سمح لها بالابتعاد عنه. ولكن ها قد وقع المحذور، ولا بد من أن ينفصل عن تلك التي وجد في صحبتها فرحه وسعادته، فكيف يكون له هذا؟» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٣٥). وللأسف، رغم معرفته الصواب من الخطأ، انتقى آدم أيضاً الاختيار الخطأ.

فكر في المفارقة الخادعة هنا: قالت الحية إنه إذا أكلنا من الشجرة فسيكوننا «مثل الله» (تكوين ٣: ٥). لكن، ألم يذكر سفر التكوين أنهما كانا بالفعل على صورة الله؟ ما الذي يمكن لهذا أن يعلمنا عن مدى سهولة خداعنا، ولماذا يعد الإيمان والطاعة هما حمايتنا الوحيدة، حتى عندما نكون قد حصلنا على أفضل تعليم، كما فعل آدم وحواء؟

استعادة ما قد فُقد

عندما اختار آدم وحواء أن يتبعوا رسالة الحيّة، فقد واجهنا، من بين العديد من العواقب الأخرى، الإقصاء عن الصّف المدرسي لله. فكر في ما فقدته آدم وحواء بسبب خطيئتهما. عندما نفهم سقوطهما، يمكننا أن نفهم بشكل أفضل القصد من التّعليم بالنسبة لنا في عصرنا الحالي. على الرغم من إبعادهما، أدى العيش في عالم غير كامل إلى وجود قصْد جديد للتّعليم.

فإذا كان التّعليم قبل السقوط هو طريقة الله لتعرّف آدم وحواء عليه، وعلى صفاته وعلى جودِه ومحبتِه، فيجب أن يعمل التّعليم بعد السقوط على المساعدة في إعادة تعريف الإنسانية بهذه الأمور، بالإضافة إلى إعادة خَلق صورة الله فينا. على الرغم من إبعادهم الجسدي من حضور الله، لا يزال بإمكان أبناء الله معرفته ومعرفة جودِه ومحبّته. من خلال الصّلاة والخدمة ودراسة الكلمة المقدّسة، يمكننا أن نقرب من الرّب إلينا كما فعل آدم وحواء في عدن. والأخبار السّارة هي أنّه بفضل يسوع، وتدبير الفداء، لم يُفقد كل شيء. فنحن لدينا رجاء الخلاص والاسترداد. وينبغي أن يعمل التّعليم المسيحي على توجيه الطّلاب نحو يسوع، وما فعله من أجلنا، والاسترداد الذي يقُدّمه.

اقرأ ٢ بطرس ١: ٣-١١. في ضوء ما قد تمّ خسارته عندما غادر البشر الجنة، تأتي هذه الآيات الكتابية بمثابة تشجيع بأنه يمكن استرداد الكثير مما فُقد. ما الذي كتبه بطرس بأن علينا القيام به من أجل أن نسعى إلى استعادة صورة الله في حياتنا؟

من خلال يسوع، وهب «لنا كل ما هو للحياة والتّقوى». يا له من وعد! ماذا عساها تكون بعض هذه الأشياء؟ حسنًا، يُعطينا بطرس قائمة بذلك: الإيمان، الفضيلة، المعرفة، التعفّف، الصبر، وما إلى ذلك. لاحظ أيضًا أن المعرفة هي إحدى هذه الأمور التي يذكرها بطرس. هذه الفكرة تقود، بالطبع، إلى مفهوم التّعليم. إن التّعليم (أو التّربيّة) الحقيقي يقود إلى معرفة حقيقية، معرفة يسوع، وهكذا نحن لن نصبح أكثر شبّهًا به وحسب، بل وسنسعى أيضًا لمشاركة معرفتنا به مع الآخرين.

فكّر للحظة في حقيقة أنّ الشجرة المحرّمة كانت «شجرة معرفة الخير والشرّ». ماذا ينبغي أن نخبرنا هذا عن السّبب في أن ليس كل معرفة جيدة؟

الاستهانة بالسيادة

يُعتَبَرُ بعض الأشخاص «طُلابًا بالفطرة» في الصّف المدرسي. إنهم بالكاد يحتاجون إلى الدّرس والاستذكار ليحصلوا على علامات ممتازة. إنهم يتشربون المواد الدراسية بسهولة. يبدو أن معرفتهم «تَرَكُزُ وتَثْبُتُ». يوضّح الأصحاحان الأول والثاني من رسالة بطرس الأولى أن تعليمنا في يسوع هو اختبار تكافؤ الفرص بالنسبة لأولئك الذين يكرّسون أنفسهم له. الكلمات المشجعة الواردة في الأصحاح الأول من رسالة بطرس الثانية تتباين مع التحذير الجاد الوارد في الأصحاح الثاني من نفس السّفَر.

اقرأ ٢ بطرس ٢: ١-١٧. ما هي الكلمة القوية والمندّدة التي يستعملها هنا؟ في نفس الوقت، في ظل هذا التحذير الصارم والإدانة، ما هو الرجاء العظيم الذي وعدنا به؟

لاحظ ما يكتبه بطرس في العدد ١٠ عن أولئك الذين يستهينون بالسيادة. يا له من توبيخ شديد صارم لما هو حقيقة واقعة في يومنا هذا، أيضًا. يجب علينا كجسد كنسي أن نعمل على افتراض وجود مستويات معينة من السيادة (راجع الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٧، ١٧، ٢٤). ونحن مدعوون إلى إطاعة مُرشدينا والخضوع لهم، على الأقل طالما كانوا هم أنفسهم مُخلصين للرّب. مع ذلك، فوسط هذه الإدانة القاسية، يقدم بَطْرُسُ (في عدد ٩) نقطةً مُقابِلَةً، فيقول إنّه على الرغم من أن الله قادرٌ على إهلاك أولئك الذين اختاروا الضلال، «يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنَّ يُنْقِذَ الْأَتَقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ». هل من المُمكن أن يكونَ جزءٌ من تعليمنا في المَسِيحِيَّةِ هو ليس مجرد تجنّب للتجربة وحسب، وإنما تَعَلُّمُ الطُّرُقِ العديدة التي بواسطتها يستطيع الله من خلالها أن ينجينا من التجربة، بل وينجيننا بالفعل، ويحمينا كذلك من أولئك الذين يحدّرنا بَطْرُسُ من أنهم سوف «يُدْسُونَ بِدَعِ هَلَاكِ» (٢ بطرس ٢: ١)؟ وأيضًا، بما أنّ الاستهانة بالسيادة هي مسألة مُدانة للغاية، ألا ينبغي لتعليمنا المسيحي أن يتألف من تَعَلُّمِ الطريقة الصحيحة لأنّ نَفْهَمَ وَنَخْضَعَ وَنُطِيعَ «مُرْشِدِينَا» (عبرانيين ١٣: ٧).

رغم أنّه لا يمكن للمرء أن يقول إنّ آدم وحواء قد استهانتا بالسيادة الإلهية، إلا أنّهما اختاروا في النهاية عصيان تلك السيادة. وما جعل من تعديهما أمرًا سيئًا للغاية هو أنّهما فعلا ذلك استجابة لتناقض صارخ لما قالته لهما تلك السيادة، التي هي الله نفسه، وهي كذلك السيادة التي فعلت الكثير لأجلهما.

تمعن أكثر في مسألة السيادة، ليس فقط في الكنيسة أو في الأسرة، ولكن في الحياة بشكل عام. لماذا تعد السيادة، سواء الممارسة الصحيحة للسيادة، أو الخضوع المناسب لله، هامةً للغاية؟ تعال بأجوبتك إلى الصّف يوم السَّبْتِ.

لمزيد من الدرس: «إنَّ ذينك الزوجين القديسين لم يكونا فقط طفلين يتمتعان برعاية الله أبيهما، بل كانا أيضًا تلميذين يتلقيان التَّعليم من الخالق الكلي الحكمة. كان الملائكة يزورونهما، كما سمح بأن تكون لهما شركة مع جابلهما دون أن يكون هنالك حجاب يفصله عنهما. كانا ممتلئين نشاطاً بفضل أكلهما من شجرة الحياة، وكانت قواهما العقلية أقل قليلاً مما للملائكة. وإن أسرار الكون المنظور و'مُعْجَزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ' (أيوب ٣٧: ١٦) فتحت أمامهما نبغاً لا ينضب من المعرفة والسرور. ثم أن قوانين الطبيعة وأعمالها التي ظلت موضع دراسة البشر مدة ستة آلاف سنة انفتحت. وانكشفت أمام ذهنيهما بواسطة ذاك الذي هو مصوّر الكلّ وحامل الكلّ. كانا يتحدثان مع الأزهار والأشجار ويستخلصان منها أسرار حياتها. وقد كان آدم عارفاً بكل الخلائق الحية من لويثان العظيم الذي يلعب في الماء إلى الهوام الصغيرة التي تطير فوق وجه الأرض، وقد دعا كل تلك الخلائق بأسمائها، كما كان خيراً بطبيعة كل منها وعاداتها. إن مجد الله في السموات، والعوالم التي لا حصر لها في دوراتها المنتظمة و'مُوازَنَةِ السَّحَابِ' (أيوب ٣٧: ١٦) وأسرار النور والصوت والنهار والليل- كل هذه كانت موضوع دراسة أبونا الأولين. فعلى كل ورقة من أوراق أشجار الغابات وكل حجر في الجبال، وفي كل كوكب ساطع وفي الأرض والهواء والجلد، كان اسم الله مكتوباً. وإنَّ النظام والانسجام العجيب في الخليقة حدثاهما عن حكمة الله وقوته اللتين لا حد لهما. كانا على الدوام يكتشفان بعض الجوانب التي ملأت قلوبهما بحب أعمق لله، وكانا يرغبان في التعبير عن شكرهما لجلاله» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٢٩، ٣٠).

أسئلة للنقاش

١. إذا كان الله قد قصد في الأصل أن تكون المدرسة/العمل فرصة للبشّر للالتقاء به وبخليقته، فهل ما زلنا متمسكين بقصد الله في عملنا اليوم؟ كيف يمكننا أن نتعرف على الله بشكل أفضل من خلال عملنا (سواء كان مدفوع الأجر أو تربوياً أو تطوعياً أو خدماتياً، إلخ)؟
٢. عندما نفكر في مَكْر الشيطان في جنة عدن، من السهل أن نشعر بالإحباط بسبب ضعفنا البشري. عَرَفَ آدَمُ وحواء أَنَّ الرَّبَّ كان قريباَ منهما، ومع ذلك قَبِيلاً نَصَفَ الحقيقة، التي نطق بها الشيطان. كيف يمكننا نحن، الذين أبعدوا عن التقارب الجسدي من الله، أن نحصل على القوة من عنده لمساعدتنا على التغلب على التجربة؟
٣. ناقش مسألة السيادة ولماذا من الأهمية بمكان أن نطيع هذه السيادة؟ ما الذي يحدث عندما تصبح حدود السيادة غير واضحة؟ كيف يمكن إساءة استخدام السيادة، وكيف تكون ردة فعلنا عند حدوث ذلك؟